الطلب والح في السؤال ولاه ظهره واعرض عنه واستقبل جهة اخرى وهي النهاية في الرد والغاية في المنع الدال على
كراهة العطا والبذل وهذا دأب مانعي البر والاحسان وعادة البخلا فلذلك خص هذه الاعضا الثلاثة بالكي
يوم القيمة وهو قوله تعالى هذا ما كنزتم لانفسكم اى يقال لهم ذلك يوم القيامة فذوقوا ما كنتم تكنزون
اى فذوقوا عذاب ما كنزتم في الدنيا من الاموال ومنعتم حق الله منها ق عن الاحنف بن قيس قال قدمت المدينة
فبينا انا في حلقة فيها ملا من قريش اذ جا رجل خشن الثياب خشن الجلد خشن الوجه فقام عليهم فقال بشر الكانزين
برضف يحمى عليه في نار جهنم فيوضع على حلمة ثدي احدهم حتى يخرج من نغض كتفيه ويوضع على نغض كتفيه حتى
يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل قال فوضع القوم رؤسهم فما رايت احدا منهم رجع اليه شيا قال فادبر فاتبعته
حتى جلس الى سارية فقلت ما رايت هولا الا كرهوا ما قلت لهم فقال ان هولا لا يعقلون شيا هذا لفظ
مسلم وفيه زيادة لم اذكرها وزاد البخاري فقلت من هذا قالوا ابو ذر قال فقمت اليه فقلت ما شي سمعتك
تقول قبيل فقال ما قلت الا شيا سمعته من نبيهم صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل ان عدة الشهور عند
الله اثنى عشر شهرا وهو المحرم وصفر وربيع الاول وربيع الاخر وجمادى الاولى وجمادى الاخرى ورجب
وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة وهذه شهور السنة القمرية التي هي مبنية على سير
القمر في المنازل وهي شهور العرب التي يعتد بها المسلمون في صيامهم ومواقيت حجهم واعيادهم وساير
امورهم واحكامهم وايام هذه الشهور ثلثماية وخمسة وخمسون يوما والسنة الشمسية عبارة
عن دور الشمس في الفلك دورة تامة وهي ثلثماية وخمسة وستون يوما وربع يوم فتنقص السنة
الهلالية عن السنة الشمسية عشرة ايام فبسبب هذا النقصان تدور السنة بدور الهلالية فيقع
الصوم والحج تارة في الشتا وتارة في الصيف قال المفسرون وسبب نزول هذه الاية من اجل النسي التي
كانت العرب تفعله في الجاهلية فكان يقع حجهم تارة في وقته وتارة في المحرم وتارة في صفر وتارة
في غيره من الشهور فاعلم الله عز وجل ان عدد شهور سنة المسلمين التي يعتدون بها اثنى عشر شهرا على
منازل القمر وسيره فيها وهو قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله يعني في علمه وحكمه اثنى عشر شهرا
في كتاب الله يعني في اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه جميع احوال الخلق وما ياتون وما يذرون وقيل اراد
بكتاب الله القران لان فيه ايات تدل على الحساب ومنازل القمر وقيل اراد بكتاب الله الحكم الذي اوجبه وامر
عباده بالاخذ به يوم خلق السموات والارض يعني ان هذا الحكم حكم به وقضاه يوم خلق السموات والارض السنة اثني
عشر شهرا منها يعني من الشهور اربعة حرم وهي رجب فرد وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ثلاثة متوالية
وانما سميت حرما لان العرب في الجاهلية كانت تعظمها وتحرم فيها القتال حتى لو ان احدهم لقي قاتل ابيه
وابنه واخيه في هذه الاربعة اشهر لم يهيجه ولما جا الاسلام لم يزدها الا حرمة وتعظيما ولان الحسنات والطاعات
فيها تتضاعف وكذلك السيات ايضا اشد من غيرها فلا يجوز انتهاك الاشهر الحرم ذلك الدين القيم يعني ذلك الحساب
المستقيم والعدد الصحيح المستوي فالدين هنا بمعنى الحساب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت وقيل اراد بالدين القيم الحكم الذي لا يغير ولا يبدل والقيم هنا بمعنى الدائم الذي لا يزول فالواجب
على المسلمين الاخذ بهذا الحساب والعدد في صومهم وحجهم واعيادهم وبياعاتهم واجال ديونهم وغير ذلك من سائر احكام
المسلمين المرتبة على الشهور ق عن ابي بكرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق
السموات والارض السنة اثنى عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى
وشعبان اى شهر هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه فقال اليس يوم النحر قلنا بلى قال فان دماكم

واموالكم

واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسالكم عن اعمالكم الا فلا ترجعوا
بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض الا ليبلغ الشاهد الغايب فلعل بعض من يبلغه يكون اوعى له من بعض من سمعه ثم قال الا
هل بلغت قلنا نعم قال اللهم اشهد وقوله تعالى فلا تظلموا فيهن انفسكم قيل الكناية في فيهن ترجع الى جميع الاشهر اى
لا تظلموا انفسكم في جميع اشهر السنة بفعل المعاصي وترك الطاعات لان المقصود منع الانسان من الاقدام على المعاصي
والفساد مطلقا في جميع الاوقات الى الممات وقيل ان الكناية ترجع الى الاشهر الحرم وهو قول اكثر المفسرين
وقال قتادة ان العمل الصالح اعظم اجرا في الاشهر الحرم والظلم فيهن اعظم فيما سواهن وان كان الظلم على كل حال عظيما
وقال ابن عباس لا تظلموا فيهن انفسكم يريد استحلال الحرام والغارة فيهن قال محمد بن اسحاق وابن يسار ولا تجعلوا
حلالها حراما ولا حرامها حلالا كما فعل اهل الشرك وهو النسي وقيل ان النفس مجبولة بطبعها على الظلم والفساد
فالامتناع عنه على الاطلاق شاق على النفس لا جرم انه خص بعض الاوقات بمزيد التعظيم والاحترام ليمتنع الانسان
في تلك الاوقات من فعل الظلم والقبايح والمنكرات فلربما تركها في بعض الاوقات فتصير هذه الاوقات الشريفة
والاشهر المحرمة المعظمة سببا لترك الظلم وفعل المعاصي في غيرها من الاشهر فهذا وجه الحكمة في تخصيص بعض الاشهر
على بعض بمزيد التشريف والتعظيم وكذلك الامكنة وقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة يعني
قاتلوا المشركين باجمعكم مجتمعين على قتالهم كما انهم يقاتلونكم على هذه الصفة والمعنى تعاونوا وتناصروا على قتالهم وكونوا
عباد الله مجتمعين على قتالهم ولا تخاذلوا ولا تدابروا ولا تفشلوا ولا تجبنوا عن قتالهم وكونوا عباد الله مجتمعين متوافقين
في مقاتلة اعدايكم من المشركين واختلف العلما في تحريم القتال في الاشهر الحرم فقال قوم كان ذلك كبيرا ثم نسخ بقوله
وقاتلوا المشركين كافة يعني في الاشهر الحرم وفي غيرهن وهو قول قتادة وعطا الخراساني والزهري وسفيان
الثوري قالوا لان النبي صلى الله عليه وسلم غزا هوازن بحنين والطايف بثقيف وحاصرهم في شوال وبعض
ذي القعدة وقال اخرون انه غير منسوخ وقال ابن جريج حلف بالله عطا بن ابي رباح ما يحل للناس ان يغزوا في
الحرم ولا في الاشهر الحرم وما نسخت الا ان يقاتلوا فيها واعلموا ان الله مع المتقين يعني بالنصر والعون على اعدايهم
قوله تعالى انما النسي زيادة في الكفر النسي عبارة عن تاخير الوقت ومنها النسيئة في البيع ومعنى النسي المذكور حرمتم
في الاية هو تاخير شهر حرام الى شهر اخر وذلك ان العرب في الجاهلية كانت تعتقد الاشهر الحرم وتعظيمها وكان
ذلك مما تمسكت به من ملة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكانت عامة معايش العرب من الصيد والغارة فكان
يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة اشهر متوالية وربما وقعت حروب في بعض الاشهر الحرم فكانوا يكرهون
تاخير حربهم الى الاشهر الحلال فنسيوا يعني اخروا تحريم شهر الى اخر فكانوا يوخرون تحريم المحرم الى صفر فيستحلون
المحرم ويحرمون صفر فاذا احتاجوا الى تاخير تحريم صفر اخروه الى ربيع الاول فكانوا يصنعون هكذا يوخرون
شهرا بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها وكانوا يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذي الحجة عامين ثم
حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذلك في شهور السنة فوافقت حجة ابي بكر في السنة التاسعة قبل
حجة الوداع في السنة الثانية من ذي القعدة ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام المقبل حجة
الوداع فوافق حجه في شهر ذي الحجة وهو شهر الحج المشروع فوقف بعرفة في اليوم التاسع وخطب الناس في
اليوم العاشر بمنى واعلمهم ان اشهر النسي قد تناسخت باستدارة الزمان وعاد الامر الى ما وضع عليه حساب
الاشهر يوم خلق السموات والارض وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق
السموات والارض من الحديث المتقدم وامرهم بالمحافظة على ذلك لئلا يتبدل في مستانف الايام واختلفوا في
اول من نسا النسي فقال ابن عباس والضحاك وقتادة ومجاهد اول من نسا النسي بنو مالك بن كنانة وكان يليه ابو ثمامة

Copyright © King Saud University